



تجليات نقد النقد في الأدب العربي
عرض نماذج

Meta-Criticism Manifestations in Arabic Literature:
showcasing
أحلام بالولي

جامعة البويرة (الجزائر)، a.balouli@univ-bouira.dz

ملخص:

ظهر في الساحة النقدية خطابٌ نقديٌّ جديد جعل النقد مجالَ اشتغاله سميّ (بنقد النقد). يوغل نقد النقد في أعماق النصّ النقدي ويتوسّع فيه باحثًا عن خباياه ومكامن الجودة فيه، فيسهم في إثراء النقد وتوسيع مجاله. لقد اختلف النقاد حول هذا المصطلح ونشأته، فكان منهم من اعتبره لصيقًا بالنقد وامتدادًا له، وآخرون جعلوه مستقلًا بذاته. ومن هذا المنطلق حاولت في هذا المقال عرض بعض آراء النقاد حول هذا المصطلح وتجليّاته في الأدب العربي من خلال بعض النماذج النقدية التي – وإن لم تذكر هذا المصطلح في العنوان والمتمن- هي كتب نقدَ فيها أصحابها النقد أو أعادوا قراءة النقد ليتشكّل فيها نقد النقد بكلّ تفاصيله.

كلمات مفتاحية: الأدب؛ النقد؛ نقد النقد؛ ميتا نقد؛ المعارك الأدبية؛ الخطاب النقديّ.

Summary:

A new critical discourse emerged in the literary arena, known as "meta-criticism," which made criticism its field of work. Meta-criticism delves into the depths of the critical text, expanding and exploring its hidden aspects and sources of quality. It contributes to enriching criticism and expanding its scope. Critics have differed regarding this term and its

المؤلف المرسل: أحلام بالولي، الإيميل: a.balouli@univ-bouira.dz

origin. Some considered it closely related to criticism, an extension of it, while others made it an independent field in itself. Based on this premise, this article attempts to present some opinions of critics about this term and its manifestations in Arabic literature through some critical examples. Although the term may not be mentioned explicitly in the title or the text, these are books in which the authors engage in criticism or reinterpret it, giving rise to meta-criticism in all its details.

Keywords: literature, criticism, meta-criticism, literary battles, critical discourse

1. مقدمة:

إنّ استحالة وجود أدب بلا نقد، تؤكّد استحالة وجود نقد بلا أدب، ومن ثمّ فمتلازمة الأدب والنقد الأدبيّ تؤكّد العلاقة المتبادلة بينهما، فيكون التأثير والتأثر عاملين في ارتقاء كلّ منهما « وقد تبدو الصّلة بين النّقد والأدب أقرب شبيهاً بتلك الصّلة التي تقوم بين المنتج للسّلع والمستهلك لها، فالعلاقة بينهما قائمة على النّفع المتبادل، إذن إنّ كلّاً منهما يحتاج إلى الآخر، وقد يصعب على المرء أن يتصوّر وجود أحدهما بمعزل عن الآخر»¹

إذا كان النّقد هو الحكم على العمل الأدبيّ وعرضه على محكّ التّحليل والتّفسير والتّقويم، وموضوعه الأدب، فإنّ نقد النّقد يتخذ من النّقد ذاته موضوعاً له من شأنه أن يثري هذا النّقد بمنحه قراءات متعدّدة تتجاوز الرؤية الفرديّة التي عادة ما تفتقر إلى الموضوعيّة، فيسمح ذلك ببلورة نظرة شاملة ومتكاملة للإنتاج الأدبيّ الأوّل، إذ « يتّسع المجال فيه لبروز تيارات نقدية متميزة تتعامل مع النّصّ الواحد بتنوّع وثناء يساهم في إعطائه قيمة أكثر رسوخاً، كما يساهم في إعطاء النّقد ذاته صفة تنظيريّة تجعل من يمارس نقد النّقد يؤسّس لمسارات نقدية يفترض أن تكون تجديديّة»²

انطلاقاً من هذا يمكن أن نطرح الإشكاليّة التّالية: ما هو نقد النّقد؟ وما العلاقة

بينه وبين النّقد؟ وكيف يتجلّى في الأدب العربيّ؟

2. الأدب والنّقد عند العرب:

يعبّر الأدب عن ما يجول في نفس الأديب، محاولاً نقل ما يراه أو يحسّ به حول كلّ ما يتعلّق بالحياة من جميع جوانبها؛ وفي أحيان أخرى يتعدّى مجرد نقل هذه الأحاسيس إلى أبعد من ذلك، فيوسّع مجال الإبداع، ويدخل في عوالم من الأخيلا التي تأخذ القارئ إلى فسحة من المتعة والتّشويق؛ وعليه فإنّ « الأدب بمعناه العامّ وسيلة الحياة الإنسانيّة

المهذبة، يصل بين الأفراد والجماعات، وبين العصور المتوالية والأجيال المتعاقبة، ويسمو بالجنس البشري إلى مستوى فكري وشعوري وخلقى جليل.³ ومن هنا يمكن القول إنه رغم تعدد وظائف الأدب من إمتاع، وصدق في الأخلاق، ونقد للواقع، إلا أن الكتابة الأدبية تشترك في أنها تعتمد على الأسلوب الأدبي الفني الذي تتفاوت فيه حسب الأنواع الأدبية من شعر ونثر، وحسب الأنواع النثرية من قصة ومسرحية ورواية ...

تصدر الإشارة إلى أن ليس كل ما يكتب أدبًا، فالنص الإبداعي يجب أن يخضع لمعايير فنية تجعله أدبًا. لذلك وجد النقد الأدبي الذي يلي عملية الإبداع، وهو تحليل الأثر الأدبي وإظهار مواضع الجودة والرداءة فيه، ومن ثم تقويمه وجعله أكثر صوابًا حسب رأي الناقد الذي عليه الالتزام بشروط النقد، و« يبدأ النقد وظيفته بعد الفراغ من إنشاء الأدب، فالنقد يفرض أن الأدب قد وجد فعلا ثم يتقدم لفهمه وتفسيره وتحليله وتقديره؛ والحكم عليه بهذه الملكة المهذبة أو المهمة التي تكون لملاحظتها قيمة ممتازة وأثار محترمة.»⁴ ويؤدي النقد الأدبي وظيفته عندما يلتزم الناقد بسلسلة من الإجراءات التي تتمثل في قراءة النص الإبداعي، وفهمه، وتحليله، وإبراز مكان القوة والضعف فيه، والجودة والرداءة. وعلى الناقد أن يكون « ثاقب النظر، سريع الخاطر، مهذب الذوق، قادرًا على المشاركة العاطفية (التعاطف مع الأديب)، والبراءة من المؤثرات التي تفسد عليه أحكامه ... وذلك كله فوق الثقافة الأدبية العلمية، والتمرس بالأدب، ومعرفة أطواره التاريخية، وصلاته بالفنون الأخرى، وحسن فهمه وتعمقه إلى أبعد غاية، ليتيسر له الإنصاف والحكم الصحيح.»⁵ وبذلك يصل النقد إلى غايته المتمثلة في خلق الفرص للأدباء والنقاد من أجل تطوير الأدب، بإعطائهم آخر النظريات الأدبية والنقدية.

وقد عرفت هذه العلاقة الوطيدة بين الأدب والنقد عند العرب منذ القديم، حيث « بدأ النقد مع الإنسان فطريًا متأثرًا يعتمد على الانطباع السريع والارتجال في الأحكام، وقد سار مسيرة طويلة يتغير ويتطور بتقدم المجتمع وتعقده وكلما تقدم المجتمع تميز عن غيره بطابع خاص تغلب على ذلك العصر أو ذاك الناقد.»⁶ وكانت الأحكام الانطباعية والذوقية، والأسواق الأدبية، والموازنات ذات الأحكام التأثرية هي السائدة آنذاك بسبب اعتماد العرب على المشافهة وعدم تدوين أدبهم.

ولقد أدت هذه الأحكام دورًا مهمًا في غرلة الشعر الجاهلي وتطوير الحسن النقدي لدى العرب دون تأصيل؛ ومع بزوغ فجر الإسلام ظهرت معايير جديدة عنت بالمضمون

الذي صار يستمد موضوعاته من صميم الدين، فأسقطت بعض الأغراض المنافية للقيم الإسلامية مثل الغزل الماجن، والفخر الجاهلي والهجاء المقذع، وهذبتها، فظهر الهجاء من أجل الدفاع عن الإسلام، والغزل العفيف، والمديح. وتجدر الإشارة إلى أن العرب أبقوا على المعايير السابقة من نقد للشكل، ونقد للمعاني، ونقد للألفاظ. « ولا ريب أن هذا التغيير الطارئ ينعكس على النقد الذي يسير جنباً إلى جنب مع الأدب شعراً ونثراً، يقوم أحياناً، ويحلل اتجاهاته ويحاكم قضاياه، فيجلو أمامه المحاسن ويكشف له عن المساوي»⁷.

مع انفتاح العرب على الثقافات الأخرى وتعدد البيئات ودخول الأعاجم في الإسلام أفواجا، عادت العصبية القبلية، وازدهر النقد في العصرين الأموي والعباسي وكثر الأدباء فكثرت النقاد، و« وقفوا على ما لكل شاعر من خصائص ومميزات ولا سيما كبار الشعراء. والواقع أن تحديد الخصائص الفنية لشعر كل شاعر من هؤلاء الشعراء، كان ثمرة لكثير من المناقشات التي كانت تدور بين هؤلاء العلماء النقاد حول المفاضلة بين بعض الشعراء من أبناء العصر الواحد، أو بين المتقاربين فنياً»⁸ وبهذا تجاوز النقد مرحلة الأحكام والانطباعات إلى الاهتمام بتفاصيل دقيقة تُعنى بالخصائص الفنية لكل شاعر، فصنّف الشعراء إلى طبقات، وعُرف النقد الأدبي بهذا المصطلح بالذات، خاصة بظهور كتب تُعنى بالنقد مثل (نقد الشعر) لقدامة بن جعفر، و(طبقات فحول الشعراء) لابن سلام الجمحي، و(منهاج البلغاء وسراج الأدباء) لحازم القرطاجي وغيرها. ونبغ في هذه العصور الذهبية أدباء وشعراء استطاعوا بفضل الحركة الأدبية والنقدية إحداث قفزة نوعية في كلّ الفنون الأدبية من خطابة ورسالة وقصة ومقامة... واستمر الأمر على هذا الوضع إلى أن دخل الأدب عصر الانحطاط الذي توقّف فيه الإنتاج الأدبي -إن صحّ القول- مقارنة بالعصور الماضية، فتأثر النقد الأدبي بهذا الفتور وصار إلى الجمود.

مثل القرن التاسع عشر انطلاقة جديدة للأدب العربي، إذ كان للنهضة الأدبية دورٌ فعّالٌ في تطوّر النقد بسبب التأثير بما يفد من الغرب الذي خطا خطواتٍ سريعةً في كلّ مجالات الحياة، كما استفاد الأدباء العرب من انتشار الصحف والمجلات وما فتحت لهم « من أبواب للكتابة فيها، ونشر ما تجود به قرائهم ... وفي أكثر الأحيان يتقاضى الأدباء أجراً على ما يكتبون... وكان في هذا ما أغرى كثيراً من الأدباء بالتخلي عن أعمالهم الأصلية، والتفرغ للكتابة في الصحف... وقد فتح هذا الاهتمام مجالاً للتنافس بين الأدباء

على التجديد والإجادة والإتقان.⁹ وكان لتبادل البعثات مع الخارج الأثر في إرساء مدارس أدبية وتأسيس جمعيات وتيارات فكرية ذات خلفيات إيديولوجية.

إنّ أهمّ ما ميّز هذه الفترة انقسام الأدباء إلى تيارات مختلفة، وصلت في بعض الأحيان إلى حدّ الصّراع، ما أثرى الأدب وعزّز النقد الذي اهتمّ بهذه الآراء. فخضع بذلك النقد العربيّ « لما يضع له النقد الغربيّ الحديث من مذاهب وتفسيرات علمية موضوعية مختلفة للنقد، فهناك التفسير النفسيّ للنقد والأدب، والتفسير الجماليّ، والفلسفة المثاليّة، والفلسفة الواقعيّة، وغيرهما من المذاهب الفلسفيّة، التي وجّهت النقد الغربيّ وجهة جديدة، وصار النقد تابعاً لها، وصارت هي الرائدة الموجهة لخطواته، وتبعه في ذلك نقدنا العربيّ الحديث، فسار في نفس الطريق، وخطا نفس الخطوات.¹⁰

3. بين النقد ونقد النقد :

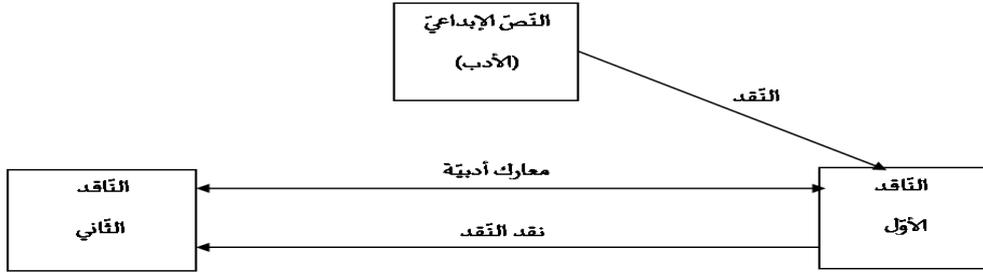
لم يكن نقد النقد في القديم متميّزاً عن النقد، بل خطياً معاً وساراً جنباً إلى جنب يُصدران الأحكام النقديّة على النصوص الأدبية إذ « نجد ممارسة لنقد النقد من دون ذكر المصطلح في المتن أو العنوان.¹¹ ويظهر ذلك - مثلاً - من خلال تصنيف الشعراء وكذلك تصنيف معايير الجودة والرداءة التي يتمّ بها هذا التصنيف؛ حيث كثيراً ما يُفاضل بين هؤلاء الشعراء فتباين الآراء حول أسباب هذه المفاضلات، فيخلق جوّ من التحليل والتفسير والتأويل، وهذا ما يمثله نقد النقد.

تطوّر هذا النشاط المعرفيّ من مجرد فعل ملازم للنقد إلى صورة مستقلة عن النقد، حيث وُضعت له مسميات أخرى، نفهم من خلالها وظيفته، فنجد مثلاً مصطلح (قراءة القراءة)، ومصطلح (الميّنات نقد)، ومصطلح (النقد الواصف)، ومصطلح (النقد الشّرح)، ويمثّل هذا المخطّط التوضيحيّ شرحاً مبسطاً يصف العلاقة بين النصّ الإبداعيّ والنقد ونقد النقد:



الشّكل (1): مخطّط توضيحيّ للعلاقة بين الأدب والنقد ونقد النقد.

إنّ ما يعرف اليوم بنقد النّقد كان ممارساً عند القدماء- حسب آراء بعض النّقاد- وإن لم يُعرف بهذا المصطلح، ويظهر ذلك في كتب الرّدود والمعارضة « التي ارتبط ظهورها بتنوّع الاتّجاهات الأدبيّة للنّقاد والقدماء وما تميّزت به العصور الأدبيّة من حراك ثقافيّ نتيجة ثراء الحركة الأدبيّة وكثرة الشّعراء والكتّاب وتمدوّقي الأدب عمومًا»¹² بالإضافة إلى الخصومات الأدبيّة التي نشأت بين الأدباء والنّقاد بسبب تباين الآراء واختلاف الإيديولوجيّات. « فظهرت مجموعة من الكتب التي ألّفها أصحابها خصيصاً للرّد على كاتب آخر صتّف كتباً في الموضوع نفسه، فيتوقّف الأمر إلى هذا الحدّ، أي بين كاتبين، أو قد تتسع الدائرة لتنتج كتباً أخرى فيما سميّ أيضاً بالمعارك النّقديّة»¹³ وهذا المخطّط يمثّل نقد النّقد من خلال هذه المعارك:



الشّكل(2): مخطّط توضيحي لنقد النّقد من خلال المعارك الأدبيّة.

ومن هذا المنطلق فإنّه ينبغي لناقد النّقد أن يتّلع على النّصّ الأدبيّ والنّقد الأوّل لبناء آرائه، وبذلك تكون « علاقة ناقد النّصّ النّقديّ مع نصّين لا نصّ واحد ممّا يعني أنّه سينجز قراءتين لا قراءة واحدة. فهو سيقراً النّصّ الأدبيّ والنّصّ النّقديّ معاً بصفته قارئاً، ومن ثمّ بصفته ناقداً...وقد تتخذ شكل ردود واعتراضات وتصويبات لآراء النّاقدا الأوّل، أو قد تنزع إلى إعادة فحص وتقويم النّصّ الأدبيّ برمّته»¹⁴ ومن أجل إعطاء مصداقيّة لعمله النّقديّ يجب على النّاقدا أن يمتلك:

«- وعيا إبستيمولوجياً مرتبطاً بمرجعيّة محدّدة مرتبطاً بمرجعيّة محدّدة.

- مفاهيم نسقيّة متضامنة وملائمة لها صفة نسق مستقلّ ولو نسبيّاً.

- لغة اصطلاحية بدرجة كافية.

- لغة نظريّة دقيقة تجنّباً لكلّ خلط ينتاب المفاهيم.

- قوّة استدلالية محققة للمعقولة والمقبولة.

- صيغة نظرية معبر عنها، مقترحة أو معدلة لصيغة سابقة.

- مجموعة قواعد مستمدة من مرجعية محددة (نظرية أو منهج أو علم).¹⁵

4. آراء النقاد حول نقد النقد:

يعدّ الناقد الغربيّ (تيزفيتان تودوروف) Tzvetan Todorov أوّل من وضع مصطلح (نقد النقد)، حيث ألف كتاب (نقد النقد) *La critique de la critique* الذي ترجمه إلى العربية سامي سويدان، ناقش فيه أعمال بعض النقاد وحلّلها، وعلّق على الكتاب الذين كتبوا في النقد، والملاحظ أنّه مارس نقد النقد إلاّ أنّه لم يضع له مفهوماً محدداً ودقيقاً، وقد قال عن كتابه: « ينصبّ اهتمامي هنا على معالجة موضوعين متداخلين، أتابع في كلّ منهما هدفاً مزدوجاً. إنني أرغب أولاً في معاينة الكيفية التي تمّ فيها التفكير في الأدب والنقد في القرن العشرين؛ وأن أسعى في الوقت نفسه لمعرفة ما قد تكون عليه فكرة صحيحة عن الأدب والنقد. كما أنني أرغب من ثمّ في تحليل التيارات الإيديولوجية الكبرى لهذه المرحلة كما تتجلّى من خلال التفكير حول الأدب، وأن أسعى في الوقت نفسه إلى معرفة أيّ موقف إيديولوجيّ كان أكثر متانة من المواقف الأخرى. »¹⁶

ومن الذين حاولوا إعطاء مقارنة لنقد النقد، نجد الناقد (أدريان مارينو) Adrian Marino الذي ألف كتاب (نقد الأفكار الأدبية) *La critique des idées littéraires* الذي ترجمه إلى العربية محمّد الرامي، أشار فيه إلى ضرورة وجود نقد النقد وسماه نقد الوعي النقديّ للأدب، وقال: « إنّ نقد الأفكار الأدبية يصبح شرطاً أساسياً لوجود كلّ نقد "أدبيّ" ممكن، لأنّه يضع إلزامياً معالم الحقل المفاهيميّ للنقد الأدبيّ ويتحرّاه ويوضّحه وينظّمه ويحدّد إطاره النظريّ كما يطبعه بتوجّه عميق، باختصار إنّه يوطّد جميع أشكال النقد وجميع المناهج والمفاهيم الجوهرية ويؤكّدها ويشرحها وينوعها ويدعمها. »¹⁷

أمّا نقد النقد عند العرب فقد اختلفت الآراء حوله، سواء من حيث مفهومه، أو حتّى علاقته بالنقد، فمنهم من يجعله جزءاً لا يتجزأ من النقد، ومنهم من يخرج من عباءة النقد ويجعله قائماً بذاته. وسأعرض بعض هذه الآراء:

يعدّ جابر عصفور من أوائل النقاد العرب الذين عرفوا نقد النّقد وجعلوه امتداداً ضرورياً وطبيعياً للنّقد فهو « نشاط معرفي ينصرف إلى مراجعة الأقوال النّقدية كاشفاً عن سلامة مبادئها النظرية وأدواتها التحليلية وإجراءاتها التفسيرية.»¹⁸ فحسبه يحتاج كل نقد لنصّ إبداعيّ ما إلى قراءة أخرى، فهو يضع نقد النّقد في مقابل النّقد، ويشير إلى أنّ الاختلاف الوحيد هو الموضوع حيث موضوع نقد النّقد هو النّقد ذاته، وهذا يعني أنّهما وجهان لعملة واحدة وكلّ واحد منهما يكمل الآخر. وقد شرح هذا الرأى كذلك الناقد سامي سليمان أحمد في قوله: « نقد النّقد أو النّقد الشّارح بوصفه نشاطاً نقدياً يبتغي فحص الخطاب النّقدىّ فحصاً متأنياً يهدف إلى مراجعة مصطلحاته ومبادئه الأساسية وفرضياته التفسيرية وأدواته الإجرائية وبنيتة المنطقية.»¹⁹

ويؤكّد محمّد مريني هذه العلاقة الوطيدة التكاملية لهذين النشاطين المعرفيين رغم اختلافهما في الموضوع « فهما يتفقان من حيث طبيعة الخطاب القائم على أسس نظرية وأدوات إجرائية توطّر الممارسة التحليلية.»²⁰ حيث يرى أنّ نقد النّقد خطاب يجعل النصّ النّقدى محور اهتمامه.

ولكن في المقابل نجد بعض النقاد يخرجون نقد النّقد من دائرة النّقد، ويعدّونه نشاطاً مستقلاً بذاته، فمثلاً يرى الناقد محمّد الدغمومي أنّ إرهافات نقد النّقد دلّت على « ولادة وعي جديد، يسعى إلى التّفريق بين "النقد" بصفته موضوعاً و"نقد النّقد" بصفته فعلاً يختبر ذلك الموضوع ويدرسه ولا يقول بوجود تطابق بينهما.»²¹ ويؤكّد هذا الطّرح أنّ النّقد هو مجال لمراجعة النّقد، والذي يخوض فيه يحتاج إلى أدوات غير أدوات النّقد، وبفضله يتطوّر النّقد ويضمن بقاءه.

وتذهب نجوى الرياحي القسنطيني هذا المذهب فتقول: « فنقد النّقد ليس حركة فكرية ملحقة بالنّقد ومفتقرة إلى الخلفية النظرية والتراكم المعرفي، وهو ما يفسّر أنّه وجد شرعيته قديماً ضمن سياق فكريّ ونظريّ أصيل، ويجد اليوم مبرّره والحافز على انتشاره ضمن سياق جدليّ وتعددي حديث.»²²

وهناك من يذهب إلى أبعد من تمييز نقد النّقد عن النّقد فيعدّ الأوّل أوسع مجالاً من الثّاني بل يحتويه، فنجد -مثلاً- باقر محمّد جاسم يرى أنّ « النّقد الأدبي نفسه يقع ضمن موضوع نقد النّقد. ويستلزم هذا الفرق الجوهرى بين موضوع النّقد الأدبيّ

وموضوع نقد النقد بالضرورة العلمية، العمل على تعزيز فكرة استقلال نقد النقد عن النقد الأدبي.²³

ومن خلال هذه الآراء يتضح لنا اختلاف النقاد حول إيجاد مفهوم دقيق لنقد النقد، إلا أن الأمر المتفق عليه هو ضرورة وجوده في الساحة الأدبية والنقدية ليسهم في تطوير الأدب والنقد معاً.

5. نماذج من نقد النقد في الأدب العربي:

كما سبق ذكره فإن نقد النقد كان معروفاً منذ القديم كفعل نقدي، لكنّه بقي دون ملامح دقيقة، ومصطلح محدّد، إذ « مع ظهور مصطلح الانتقاد الدالّ على النقد وتقويم النقد قبل ظهور كتاب طه حسين "في الشعر الجاهلي" ليكون أول مشروع يؤسّس عملياً بدايات "نقد النقد" دون أن يستعمل المصطلح الذي بدأ يتسرّب مع ناقد مثل عباس محمود العقاد... الذي مثل اختياراً نقدياً قوياً وجديداً في حياة النقد الأدبي العربي ولم يكن يقبل أن يصير النقد مزاجاً يعكس نوايا التفاهة والمحاباة والمجاملة. لذا اقترح تحصيل النقد بما سمّاه بنقد النقد.²⁴ ويبدو من خلال هذا القول أنّ العقاد من الأوائل الذين صرّحوا بمصطلح نقد النقد، ودعوا إلى ضرورة وجوده بسبب خوفه على النقد الذي بدأ -حسبه- ينحرف عن غرضه الأساسي وصار عرضة للأهواء.

سأحاول عرض بعض النماذج عن نقد النقد، من خلال كتب نقدية قام أصحابها بقراءة التراث الأدبي.

1.5. المعارك الأدبية: بما أنّ المعارك الأدبية التي حدثت بين الأدباء والنقاد من أوجه نقد النقد -كما سبق ذكره- فقد اخترت معارك ألف كل طرف من المعركة كتباً ضد الآخر:

أ- بين الرافعي وطه حسين:

نشأت معركة شرسة بين الأدبيين كانت بدايتها ادّعاء طه حسين عدم فهمه لما يكتبه الرافعي لا سيما كتبه "تاريخ آداب العرب"، و"حديث القمر"، و"رسائل الأحزان"، فحز ذلك في نفس الرافعي ليردّ عليه في أول فرصة سنحت له، وذلك حين نشر طه حسين كتابه المثير للجدل "في الشعر الجاهلي" حيث تعرّض للشعر الجاهلي وللقرآن الكريم بكثير من الطعن، واحتجّ في رأيه ذلك بعدم وجود تفسير لتعدّد لهجات العرب من

جهة وانفراد الشَّعر بلغة القرآن الكريم من جهة أخرى، فردَّ عليه الرَّافعيّ بقوة مدافعا عن الدِّين الإسلاميِّ والتَّراث العربيِّ القديم في كتابه "تحت راية القرآن"، وأوضح أن التناقض موجود عند طه حسين فقط، إنّما سبب الاختلاف يكمن في هيمنة لغة قريش لأنَّ القرآن نزل بلهجتهم، ومن الطَّبيعيّ أن يدوّن الشَّعر فيما بعد بهذه اللِّغة. أمّا النَّطق فكان الشَّعراء الجاهليّون يُنشِدونه بلهجاتهم المختلفة.

ب - بين الرَّافعيّ والعقَّاد:

كانت المعركة بين الرَّافعيّ والعقَّاد أشرس من تلك التي بينه وطه حسين، إذ تميّزت بطابعين، الأوّل نابع عن اختلافهما في الآراء، والثَّاني شخصيٌّ. حيث أَلَّف الرَّافعيّ كتابا خاصًا بنقد العقَّاد شاعرًا ونقد العقَّاد ناقدًا، سمّاه (على السَّفود: نظرات في ديوان العقَّاد)، وكان ذلك ردًا عليه حين نقده في مقال عن كتاب (إعجاز القرآن والبلاغة النبويّة)، وقد حطَّ العقَّاد من قيمة الكتاب، ونفى عنه أيّ منهج علميٍّ في إثبات الإعجاز. وقد وُلِد ذلك في نفس الرَّافعيّ غضبا شديداً، فتتبع شعر العقَّاد بيتًا بيتًا، وأظهر ما وقع فيه من أخطاء لغوية وبلاغية متبعا أسلوبًا انحرف عن مساره إلى حدِّ السَّخرية والسُّتم والنَّقد اللاذع.

ج - بين طه حسين والعقَّاد:

رغم الانسجام والعلاقة الجيدة التي كانت بين الأدبيين إلى حدِّ المجاملات كونهما ينتميان إلى حزب الوفد، إلّا أنّ معركة طويلة الأمد نشبت بينهما بسبب كتاباتهما في السياسة والأدب، فكان كلّ واحد منهما يعلِّق على ما يكتب الآخر. ومن أمثلة آراء العقَّاد حول النَّقد عند طه حسين قوله: «الدكتور صحيح الأصول في النَّقد ولكنّه لا يوقِّق بين أصوله وطبيعته في كثير من الموضوعات، وهو حين يقرّر المبدأ على صواب غالب ولكنّه حين يطبِّق المبدأ ينحرف أحيانًا عن الصَّواب. التَّباین بين القاعدة والطَّبع هو الذي جعل الدكتور يُنكر الجديد إذا جاء في زيِّ القديم.»²⁵ أمّا طه حسين فمن آرائه حول العقَّاد اتَّهامه إيَّاه بالتَّقليد، إذ يقول-مثلا- عن كتابه (أبو نؤاس) الذي اعتمد فيه منهج التحليل النَّفسيّ: «أما الأدباء فيذهبون في ذلك مذهب التَّقليد والمحاكاة لا مذهب الاستكشاف والاجتهاد، والعلم لا يجوز فيه التَّقليد.»²⁶ وقد استمرَّ الأخذ والردُّ استمرًا بينهما ما أسهم في تطوير الأدب والنَّقد معًا. وتجدر الإشارة إلى أنّ معارك عديدة في هذه الفترة قد دارت

بين الأدباء والنقاد بسبب اختلاف تياراتهم وتوجهاتهم وبوجه خاص بين مذهبي القديم والجديد.

2.5. كتاب "النقد والنقاد المعاصرون" لمحمد مندور:

استطاع محمد مندور من خلال هذا الكتاب أن يُقدّم قراءة جديدة للنقد العربي الحديث، حيث اختار نقادًا أمثال المرصفي، وميخائل نعيمة، ويحي حقي، ولويس عوض، وحاول إبراز أهميّة النقد في العصر الحديث وكذا إسهامات هؤلاء في هذا النقد.

بدأ مندور كتابه بالحديث عن كتاب: الوسيلة الأدبية للعلوم العربيّة لحسين المرصفي، مبيّنًا المنهج الذي اتّبعه المرصفي حيث ربّ مادته انطلاقًا من خبرة واسعة ومعرفة رحية لأدب العرب نحوًا وصرفًا وبلاغةً ونقدًا، تحدّث عن صناعتي الشعر والنثر وكذلك الطريفة الصحيحة لتعلّمهما، بالإضافة إلى فصول يقوم فيها المرصفي بعقد مقارنات بين شعراء ونائرين مبيّنًا الخصائص التي جعلت شاعرا ما يمتاز عن الآخر أدبيًا وفنيًا، ودعا إلى حفظ الشعر قدر الإمكان وبخاصّة الشعر العربيّ القديم، ويوصي « أن ينسوا بعد ذلك ما حفظوه حتّى لا يظّلوا عبدا له، وحتّى لا ينقلب شعرهم إلى ترقيع من الذاكرة، بدل أن يكون شعر حياة ومعاناة»²⁷

يدرج مندور مقطعًا ينقد فيه المرصفي بخصوص المعارف الأساسيّة التي يجب على الأديب والنقاد الناشئ الإلمام بها حتّى التمكن فيها فيقول: « وأما ما أغفل الشيخ حسين ذكره بحق، فهو تضييع الأديب الشاب وقته في دراسة دقائق اللّغة والعروض العويصة، فمثل هذه الدّراسة مهما عمقت قلّما تخلق أديبا وإن كانت عظيمة النّفع في النّقد»²⁸

يقرّ مندور أنّ المرصفي لم يجدّد في أصول النّقد الأدبي مثلما جدّد كلّ من العقاد والمازني في كتاب (الديوان) وميخائيل نعيمة في كتاب (الغريال) مدلّلا على ذلك اعتماده- مثلا- على الوحدة العضويّة الذي اعتبره مندور تقليدا وأنّ « مثل هذا المنهج النّقدي لا يخرج في شيء عن منهج النّقد التّقليديّ عند العرب هو ما يعتبر اليوم قديما باليا بالنّسبة إلينا، بعد أن اتّسعت آفاقنا النّقديّة، وأصبحنا نبحت في فلسفة الأدب وأهدافه ومصادره ووظائفه في الحياة وفي خصائصه الجماليّة ومبادئه الفنيّة، وأصالته المتميّزة»²⁹

3.5. كتاب "النقد المنهجيّ عند العرب" لمحمد مندور:

يُعرّف محمد مندور النقد المنهجيّ بأنه «النقد الذي يقوم على منهج تدعمه أسس نظريّة أو تطبيقية عامّة، ويتناول بالدّرس مدارس أو شعراء أو خصومات يفصل القول فيها ويبسط عناصرها ويبصر بمواضع الجمال والقبح فيها.»³⁰ وهذا التعريف ينطبق تماما على مضمون الكتاب حيث تناول قضايا نقدية من الأدب العربي كالخصومة بين القدماء والمحدثين، والموازنة بين الطائنين، والخصومة حول المتنبي، والوساطة بين المتنبي وخصومه... كما تناول مندور بالبحث في تاريخ النقد الأدبي من ابن سلام إلى ابن الأثير، وتحدّث عن نشأة النقد المنهجيّ عند العرب وفضل ابن المعتز في ذلك من خلال كتابه (البيديع)، يقول: «وإذن فابن المعتز قد ساعد على خلق النقد المنهجيّ بتحديدته لخصائص مذهب البيديع، ووضع اصطلاحات لتلك الخصائص، وعنه أخذ من جاء بعده.»³¹ ولم يغفل مندور عن كلّ ما خلفه العرب القدامى من تراث، واعتمده في أبحاثه معتبرا إياه نقدا منهجيا، حيث اعتنى بكتاب (طبقات فحول الشعراء) لابن سلام الجمحي وكتاب (الصناعتين) لأبي هلال العسكري... «ولئن كان كتاب النقد المنهجي في ظاهره تاريخا للنقد العربيّ فإنّه في جوهره قراءة جديدة للتّراث النقدي بعين غربيّة إنسانيّة ذوقية.»³²

4.5. كتاب "البحث عن المنهج في النقد العربيّ الحديث" لسيد البحراوي:

رغم أنّ موضوع الكتاب العامّ هو إشكاليّة المنهج في النقد العربيّ الحديث، إلّا أنّ في مضمونه تجليات لنقد النقد، إذ تناول فيه الكاتب البحث في كتب نقدية هي (الديوان) للعقاد والمازني، و(في الشعر الجاهليّ) لطف حسين، و(مقدّمة بروميثيوس طليقا) للويس عوض، و(في الثقافة المصريّة) لمحمود العالم وعبد العظيم أنيس. «جاءت فصول هذا الكتاب تحمل رؤية لمحصّلة إنجاز علامات بارزة من أجيال نقادنا الكبار.»³³

تناول الكاتب بالبحث في كتاب (الديوان في الأدب والنقد) للعقاد والمازني، واعتبره بداية النقد الأدبيّ الحديث كونه يمثّل دعوة لتبنيّ التجديد في الشعر والتخليّ عن التقليد. وقد أثار هذا الكتاب جدلا وانتقادا لأنّه تنصّل من الأدب الكلاسيكيّ، حيث محتواه و«موضوعه الأدب عامّة ووجهته الإبانة عن المذهب الجديد في الشعر والنقد والكتابة.»³⁴ إذ أراد الكاتبان أن يكون الديوان مرجعا للأفكار والآراء التي من شأنها أن

تؤسس لمرحلة جديدة، فظهرت الرومانسية، ثم انبثقت مدارس أخرى مثل مدرسة أبولو، ومدرسة المهجر.

ويعلق سيّد البحراويّ على هذه الكتابات ويصفها قائلاً: «غير أنّ الملاحظة الأساسية العامة التي يمكن أن تؤخذ على هذه الكتابات، هي أنّها ظلّت محصورة في إطار المعايير النقدية والبلاغية القديمة، وأنّ دعواتها ظلّت نوعاً من النقل أو الترجمة عن الأوروبيين... فكان الناقد يعود إلى المعيار البلاغيّ الجزئيّ دون النظرة النقدية الشمولية ويحاسبه على اللفظ وعلى الخطأ في الوزن والقافية... إلخ»³⁵

والملاحظ عند سيّد البحراويّ أنّه في كلّ مرّة يُدرج آراءه النقدية يتحجج بأقوال نقاد آخرين أمثال ميخائيل نعيمة، بالإضافة إلى عرض مقاطع من كتاب الديوان ويقوم بتحليلها وتفسيرها.

وفي موضع آخر من الكتاب تحدّث سيّد البحراويّ عن كتاب (في الشعر الجاهلي) تعرّض إلى المسائل المثيرة للجدل والضجّة - كما سبق وأن ذكرتها- ثم ركّز على شخصية طه حسين فقال: «والحقيقة أنّ المؤلف لم يسع أبداً إلى إخفاء منهجه أو هويته، بل لعلنا نلاحظ أنّه منذ الصّفحة الأولى كان حريصاً على استفزاز القارئ، وأن يكون صدامياً إلى أقصى درجة، قد يكون هذا أحد ملامح المنهج الجديد الذي يحمله الكتاب. وقد يكون أحد ملامح شخصية المؤلف التي تحبّ الجدل والصّراح حسب رؤية أنصاره أو تحبّ الشهرة وذكر الألسن لها حسب رؤية الأعداء وقد يكون كلّ هذه الملامح معاً»³⁶ ويستطرد الكاتب بعرض مضمون الكتاب موضّحاً المنهج الذي اتّبعه طه حسين وهو منهج الشكّ الذي ابتدعه الفيلسوف (ديكارت Descartes)، حيث شكّك الكاتب في وجود الشعر قبل الإسلام وادّعى أنّه منحول. ويبرّر سيّد البحراويّ موقف طه حسين بوضه في إطار مشروع الانفتاح: «كلّها كانت عناصر هامّة في إنجاز كان لا بد لطله حسين وجيله من الطبقة الوسطى أن يكون: تحطيم القداسة التقليديّة على المستويات المختلفة، حتّى يستطيعوا أن ينتقلوا حقاً إلى مجتمعهم في مرحلة ثقافية اجتماعية سياسية جديدة هي مرحلة الرومانسية في الفن والليبرالية في الفكر»³⁷

5.5. كتاب "تطور النظرية النقدية عند محمد مندور" لفاروق العمراني:

هو كتاب نقدي ألفه الكاتب ليثي على ما خلفه الناقد المصري محمد مندور في الأدب والنقد، حيث قام العمراني بقراءة كتب مندور النقدية مثل كتاب (في الميزان الجديد) وكتاب (النقد المنهجي عند العرب) وتحدث عن تأثر مندور بطله حسين ولانسون اللذين كان لهما الدور الكبير في تشكّل فكره النقدي؛ ولقد حرص الكاتب على اتباع المنهج العلمي حيث يقول: « وكان رائدي في عملي هو قراءة مؤلفات مندور النقدية التي تهمني في دراستي، قراءة مفصلة، لأنها المنطلق الصحيح لعملي، فاعتنيت باستخراج آراء مندور منها، ومواقفه رأياً رأياً، وموقفاً موقفاً، فكنت بعملي هذا كأني أفقت مؤلفاته تفتيتاً ثم أجمع هذا الفتات وأؤلف من هذه الآراء والمواقف، حتى تتكوّن لي نظرة عامّة حول مسألة من المسائل النقدية التي يثيرها مندور.»³⁸

6.5. كتاب "نقد كتاب في الشعر الجاهلي" لمحمد فريد وجدي:

بعد كلّ تلك الضجّة التي أثارها كتاب " في الشعر الجاهلي" لطله حسين، ألف محمد فريد وجدي كتابه هذا، ينقد فيه ما جاء به طه حسين من قضايا وتجاوزات، فرأى فيه أخطاء اجتماعية وبيكولوجية وفلسفية لا يمكن التغاضي عنها، وقد ذكر الكاتب أنّه وضع نقداً بعد قراءته " في الشعر الجاهلي" واستهدف « مناقشته في المسائل التي تتعلّق بتكوين الأمة الإسلامية.»³⁹ وردّ الكاتب على آراء وأفكار طه حسين بعرض ملخص لكلّ فصل من كتاب " في الشعر الجاهلي" ثم يتبع ذلك بملاحظاته وآرائه.

تجدد الإشارة إلى أنّ العديد من النقاد قد تصدّوا بالردّ على كتاب طه حسين، من خلال كتب منها: كتاب "تحت راية القرآن" لمصطفى صادق الرافعي، وكتاب "نقض كتاب الشعر الجاهلي" لمحمد الخضر حسين، وكتاب "الشهاب الرّاصد" لمحمد لطفي جمعة، وهذا دليل على تعدّد القراءات وتجاوز النظرة الفردية للعمل النقدي وهذا ما يسيّ نقد النقاد.

6. خاتمة:

في نهاية هذه الورقة البحثية، نخلص إلى ما يلي:

- نقد النقد هو خطاب نقديّ جديد موضوعه النقد الأدبيّ، ويسعى إلى مراجعة النقد بحدّ ذاته.
- يهتمّ النقد بدراسة الأعمال الأدبية، بينما محور اهتمام نقد النقد هو النقد بحدّ ذاته.
- نقد النقد كان موجوداً منذ القديم ممارسةً، لكنّه لم يعرف بهذا المصطلح إلاّ حديثاً.
- تكمن أهميّة نقد النقد في أنّه يُسهم في الكشف عن نقاط القوّة والضعف في الأعمال الأدبية.
- قراءة نقد النقد لا بدّ أن تتّصل بالأدب والنقد معاً كونها خطاب نقديّ يستوجب الكشف عن أسرار الأعمال الإبداعية، والممارسات النقدية.
- إنّ كتب النقد التي أعادت قراءة النقد كثيرة جدّاً، ورغم أنّها لا تحمل مصطلح نقد النقد في عناوينها أو أنّها لا تشير حتّى إلى هذا المصطلح في متنها، إلاّ أنّها في صميم نقد النقد.

مراجع البحث وإجلالاته:

- 1 عثمان موافي، دراسات في النقد العربيّ، دار المعرفة الجامعية، 2000، ص21.
- 2 خالد بن محمّد بن خلفان السيابي، نقد النقد في التراث العربيّ: كتاب المثل السائر نموذجاً، دار جرير للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2010، ص23.
- 3 أحمد الشايب، أصول النقد الأدبيّ، مكتبة النهضة المصرية، ط10، 1994، ص82.
- 4 المرجع نفسه، ص116.
- 5 المرجع نفسه، ص117.
- 6 حسين الحاج حسن، النقد الأدبيّ في آثار أعلامه، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1996، ص61.
- 7 المرجع نفسه، ص131.

- 8 عثمان موافي، دراسات في النّقد العربيّ، ص31.
- 9 بدوي طبانة، التيارات المعاصرة في النقد الأدبي، دار المريخ للنشر، الرياض، ط3، 1986، ص21.
- محمد عبد المنعم خفاجي، مدارس النّقد الأدبيّ الحديث، الدّار المصريّة اللّبنانيّة، ط1، 1995، ص10، ص121.
- 11 باقر جاسم محمّد، نقد النّقد أم الميّا نقد؟ محاولة في تأصيل المفهوم، عالم الفكر، ع3، الكويت، 2009، ص108.
- 12 المرجع نفسه، ص23.
- 13 المرجع نفسه، ص30.
- 14 المرجع نفسه، ص119.
- 15 عبد الله توفيقيّ، السّيرة الذاتيّة في النّقد العربيّ الحديث والمعاصر: مقارنة في نقد النّقد، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2012، ص2.
- 16 تيزفيتان تودوروف، نقد النّقد رواية تعلّم، تر: سامي سويدان، دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة، العراق، ط2، 1986، ص16.
- 17 أدرين مارينو، نقد الأفكار الأدبيّة تر: محمّد الرّامي، المركز القوميّ للترجمة، القاهرة، ط1، 2008، ص45.
- 18 جابر عصفور، قراءة الثّراث النّقديّ، مؤسّسة عيبال للدراسات والنّشر، ط1، 1991، ص11.
- 19 سامي سليمان أحمد، حفريات نقديّة: دراسات في نقد النّقد العربيّ المعاصر، مركز الحضارة العربيّة، القاهرة، ط1، 2006، ص170.
- 20 محمّد مربي، نقد النّقد: في المفهوم والمصطلح والمقاربة المنهجيّة، مجلّة البيان، ع452، الكويت، 2008، ص7.
- 21 محمّد الدّغمومي، نقد النّقد وتنظير النّقد العربيّ المعاصر، منشورات كليّة الأدب، الرباط، ص113.
- 22 نجوى الرباحي القسنطيني، في الوعي بمصطلح نقد النّقد وعوامل ظهوره، مجلّة عالم الفكر، ع1، الكويت، سبتمبر 2009، ص52.
- 23 باقر محمّد جاسم، نقد النّقد أم الميّا نقد؟ محاولة في تأصيل المفهوم، ص107.
- 24 محمّد الدّغمومي، نقد النّقد وتنظير النّقد العربيّ المعاصر، ص114.
- 25 أنور الجندي، المعارك الأدبيّة في مصر منذ 1914-1939، مكتبة الأنجلو المصريّة، 1983، ص631.
- 26 المرجع نفسه، ص628.
- 27 محمّد مندور، النّقد والنّقاد المعاصرون، نهضة مصر للطباعة والنّشر والتّوزيع، القاهرة، 1997، ص12.

- 28 المرجع نفسه، ص14.
- 29 المرجع نفسه، ص18.
- 30 محمّد مندور، النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 1996، ص5.
- 31 المرجع نفسه، ص61.
- 32 فاروق العمراني، تطوّر النظريّة النقديّة عند محمّد مندور، الدار العربيّة للكتاب، 1988، ص79.
- 33 سيّد البحراوي، البحث عن المنهج في النقد العربيّ الحديث، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1993، ص7.
- 34 عباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازني، الديوان في الأدب والنقد، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، ط4، ص3 من مقدّمة الكتاب.
- 35 سيّد البحراوي، البحث عن المنهج في النقد العربيّ الحديث، ص18.
- 36 المرجع نفسه، ص37.
- 37 المرجع نفسه، ص42.
- 38 فاروق العمراني، تطوّر النظريّة النقديّة عند محمّد مندور، ص16، 17.
- 39 محمّد فريد وجدي، نقد كتاب الشعر الجاهلي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ص8 من مقدّمة الكتاب .

قائمة مراجع البحث:

1. أحمد الشايب، أصول النقد الأدبيّ، مكتبة النهضة المصريّة، ط10، 1994.
2. أدريّن مارينو، نقد الأفكار الأدبيّة تر: محمّد الرامي، المركز القوميّ للترجمة، القاهرة، ط1، 2008.
3. أنور الجندي، المعارك الأدبيّة في مصر منذ 1914-1939، مكتبة الأنجلو المصريّة، 1983.
4. باقر جاسم محمّد، نقد النّقد أم الميّا نقد؟ محاولة في تأصيل المفهوم، عالم الفكر، ع 3، الكويت، 2009.
5. بدوي طبانة، التيارات المعاصرة في النقد الأدبي، دار المريخ للنشر، الرياض، ط3، 1986.
6. تيزفيتان تودوروف، نقد النّقد رواية تعلّم، تر: سامي سويدان، دار الشّؤون الثقافيّة العامّة، العراق، ط2، 1986.
7. جابر عصفور، قراءة التّراث النقديّ، مؤسسة عيبال للدراسات والنشر، ط1، 1991.
8. حسين الحاج حسن، النقد الأدبيّ في آثار أعلامه، المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنشر والتّوزيع، ط1، بيروت، 1996.
9. خالد بن محمّد بن خلفان السيابي، نقد النقد في التراث العربيّ: كتاب المثل السائر نموذجاً، دار جريب للنشر والتّوزيع، ط1، الأردن، 2010.

10. سامي سليمان أحمد، حفريات نقدية: دراسات في نقد النقد العربي المعاصر، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ط1، 2006.
11. سيد البحراوي، البحث عن المنهج في النقد العربي الحديث، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1993.
12. عباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازني، الديوان في الأدب والنقد، مؤسسة دار الشعب للطباعة والنشر، ط4.
13. عبد الله توفيق، السيرة الذاتية في النقد العربي الحديث والمعاصر: مقارنة في نقد النقد، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2012.
14. عثمان موافي، دراسات في النقد العربي، دار المعرفة الجامعية، 2000.
15. فاروق العمراني، تطوّر النظرية النقدية عند محمد مندور، الدار العربية للكتاب، 1988.
16. محمد الدغمومي، نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر، منشورات كلية الأدب، الرباط.
17. محمد عبد المنعم خفاجي، مدارس النقد الأدبي الحديث، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1995.
18. محمد فريد وجدي، نقد كتاب الشعر الجاهلي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة.
19. محمد مريني، نقد النقد: في المفهوم والمصطلح والمقاربة المنهجية، مجلة البيان، ع452، الكويت، 2008.
20. محمد مندور، النقد المهيج عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 1996.
21. محمد مندور، النقد والنقاد المعاصرون، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1997.
22. نجوى الرياحي القسنطيني، في الوعي بمصطلح نقد النقد وعوامل ظهوره، مجلة عالم الفكر، ع1، الكويت، سبتمبر 2009.